THI QAR ARTS JOURNAL
TQARTJ | VOL 1 NO.53 MAR.2026

Mental Correspondences between Genetic Epistemology and the Transformational-Generative Theory

Dr. Hayder Awad Rafeej
haiderawad@utq.edu.iq
https://orcid.org/0009-0008-8295-5121

Received 13/2/2026, Accepted 25/3/2026, Published 31/3/2026

Abstract

The transformational approach arose as a correction to what prevailed before it in studies concerned with the surface aspect of language. Bloomfield, for example, focused in linguistic research on the behavioral aspect based on stimulus and response. This view limits human linguistic activity to what it is affected by influencing external surrounding factors, and its result is that the processes of vocalization are nothing but a response to external influences, which makes human ability merely a mechanism that works according to immediate reactions and produces specific speech in a specific circumstance.

This mechanism is rejected by Chomsky; man is not merely a machine controlled by the conditions of linguistic production, and accepting these trends deprives man of the creative ability to produce language, and this is something that reason does not allow; because language is the richest of the vital aspects of the mind and is manifested in the ability first, and the central devices responsible for speech production second, and all of this is based on hypothetical models derived according to logical and mathematical laws.

Keywords: Mental opposition, epistemology, constitution, transformation, generation

THIS WORK IS LICENSED UNDER A CREATIVE COMMONS ATTRIBUTION 4.0 INTERNATIONAL LICENSE

THI QAR ARTS JOURNAL
TQARTJ | VOL 1 NO.53 MAR.2026

التقابلات الذهنيَّة بين الإبستمولوجيا التكوينيَّة والنظريَّة التوليديَّة التحويليّة

أ.م. د. حيدر عواد رفيج
جامعة ذي قار / كليَّة الآداب

تقديم:

الحمد لله بجميع محامده كلّها على جميع نعمه كلّها، والصلاة والتسليم على خير خلقه أجمعين محمد الأمين وأهل بيته الطيبين الطاهرين وأصحابه المنتجبين، وبعد:

فإنَّ من مقتضيات البحث العلميّ مسايرة التطورات الحاصلة في الظواهر اللغويّة وجوانبها الاستعماليَّة وموازنتها بالنظريَّات المعرفيَّة التي تبحث عن كنه المعرفة العامَّة، وهذا يستلزم إسقاط ما توصلَّت إليه تلك النظريَّات من نتائج على المعرفة اللغويّة، وكذلك ظهور توجهات ونظريات وظيفتها معالجة تلك الظواهر اللغويّة؛ للإجابة عن الأسئلة العالقة بملاحظات مبنيَّة على ذائقة الاستعمال وما يصاحبها من ظهورٍ لصياغات جديدة من جهة، أو التعقيب بالاستحسان أو الرفض للاتجاهات السابقة في دراسة الظاهرة اللغويّة من جهة أخرى، وهذا _بالضبط_ جلُّ ما تنشده الإبستمولوجيا في وصف الظاهرة والتعقيب عليها، إمَّا بالاستحسان أو الرفض على وفق الآليَّات التي تمنحها الإبستمولوجيا التكوينيَّة في ذلك الوصف.

والنظريَّة التوليديَّة التحويليّة هي إحدى هذه التوجهات؛ لأنَّها ظهرت على أنقاض اللسانيّات البنيويَّة بوصفها ردَّة فعل للمناهج السابقة، ولاسيَّما منهج دي سوسير الوصفيّ الذي تأسس على وفق تقريراته؛ إذ أكَّد الجانب الشكليّ في اللغة وركَّز على استقراء المادة اللغويّة ومن ثمَّ تحليلها، وهذا يعني الملامسة الخارجيَّة للظاهرة اللغويّة بأصواتها وتراكيبها دونما عناية بالمؤثرات الأخرى، أو قل: عزل كلّ ما هو خارج اللغة عن مساحة البحث اللسانيّ.

أمَّا المنهج التحويليّ فقد احتفى كثيراً بالثقافة الإنسانيَّة في وصف الجملة وتفسيرها بالإحالة على إمكانات الإنسان في تكوين عدد لا متناهي من الجمل وقدرته الذهنيَّة في توليد جمل جديدة سواء أكان قد سمعها من قبل أم لم يسمعها، وفي هذا تركيز على الجانب العقليّ في دراسة الظاهرة اللغويّة وتوجيهها؛ لأنَّه يستند إلى قدرة الإنسان وكفاءته في إنتاج اللغة وكذلك في استقبالها.

THIS WORK IS LICENSED UNDER A CREATIVE COMMONS ATTRIBUTION 4.0 INTERNATIONAL LICENSE

الملخَّص

نشأ المنهج التحويليّ بوصفه تصحيحًا لما سادَ قبله من دراسات عنيت بالجانب السطحيّ للغة، فهذا بلومفيلد قد ركز _في البحث اللسانيّ_ على الجانب السلوكيّ المبنيّ على المنبّه والاستجابة، وهذه النظرة تقتصر النشاط اللغويّ للإنسان بما يتأثَّر به من عوامل خارجيَّة محيطة، ومحصلتها أنَّ عمليّات النطق الصوتيَّة ما هي إلَّا استجابة لمؤثرات خارجيَّة، ما يجعل من القدرة الإنسانيَّة مجرد آليَّة تشتغل على وفق ردود فعلٍ آنيَّة وتنتج كلامًا معيّنًا في ظرف معيّن.

وهذه الآليَّة مرفوضة عند تشومسكي؛ فالإنسان ليس مجرَّد آلة تتحكَّم بها ظروف الإنتاج اللغويّ، والتسليم بهذه التوجهات يجرد الإنسان من القدرة الخلّاقة في إنتاج اللغة، وهذا ما لا يسمح به العقل؛ لأنَّ اللغة أغنى الجوانب الحيويَّة للعقل وتتجلَّى في القدرة أوَّلًا، والأجهزة المركزيَّة المسؤولة عن الإنتاج الكلاميّ ثانيًّا، وكلُّ ذلك بالاستناد إلى نماذج مفترضة مستنبطة على وفق قوانين منطقيّة ورياضيَّة.

الكلمات المفتاحيَّة: "المقابلة الذهنيَّة، الإبستمولوجيا، التكوين، التوليد، التحويل"

THIS WORK IS LICENSED UNDER A CREATIVE COMMONS ATTRIBUTION 4.0 INTERNATIONAL LICENSE

المبحث الأوَّل

الإبستمولوجيا التكوينيَّة "جان بياجيه ١٨٩٦_ ١٩٨٠م"

أوَّلًا: حدود المفهوم

يتركَّب مفهوم الإبستمولوجيا من مصطلحين رئيسين هما "الإبستمي، واللوغوس" ويدلَّان _في مجموعهما_ على الدراسة الحفريَّة المعمَّقة للمعرفة، أيّ معرفة كانت، ويشيران في دلاتهما إلى مفهوم عام؛ وهو "فلسفة العلوم"[١].

تكشف الوقائع أنَّ الظواهر والأنظمة والنظريَّات لا تولد على حين غرّة؛ إنَّما تحتاج في نشأتها وسيرورتها إلى منهج مؤسَّس له نظامه وآليَّاته، أو تحتاج إلى طريقة مفعمة بالدرس والتمحيص، وهذا ما يُعرف بـ "التكوين" وقد أُلحقت به "الياء" نسبة إلى التكوين والانبثاق المتعلّق بتكوّن كائن، أو ظاهرة، أو نظام، والتاء المربوطة لصناعة المصدر، أمَّا المنهج التكويني فهو المنهج الذي يتبنّى دراسة علم من العلوم من طريق بيان تكوينه ونموّه[٢]. والتكوين بهذا المعنى يشكّل جنبة مهمَّة في الإبستمولوجيا ومفردة من مفرداتها تتعلَّق بمتابعة تطوّر العلم والوقوف على نتائجه، لذا يمكن القول: إنَّ دراسة تطوّر المفاهيم العلميَّة جعلت من الإبستمولوجيا التكوينيَّة رابطًا بين علم النفس التطوّري والإبستمولوجيا العامَّة، فتكون مهمَّة الإبستمولوجيا عند بياجيه هي إثراء الإبستمولوجيا العامَّة من طريق النظر في الأساليب التطوّرية، وهذا اللحاظ يوحي بأنَّ بياجيه قد تعامل مع الإبستمولوجيا بوصفها علمًا وليس فلسفة علميَّة[٣].

كانت البذرة الأولى للتكوينيَّة في سنة ١٩٥٢م مع بياجيه حين كان أستاذًا في السوربون، إذ درَّس علم النفس الارتقائي، أو السيكولوجيا التكوينيَّة حتى سنة ١٩٦٣م؛ وكانت تكوينيَّة خاصَّة بعلم النفس هيأت لتأسيس المركز العالمي للإبستمولوجيا التكوينيَّة في كليَّة علوم جنيف سنة ١٩٦٥م، وهي ردَّة فعل لمعالجة خطأ الفلاسفة في موضوعة المعرفة العلميَّة؛ بالتعاطي معها على أنَّها واقعة نهائيَّة كاملة، لا بوصفها عمليَّة تطوّر ونمو، ثمّ اتَّسعت البؤرة لتشمل جميع المعارف البشريَّة[٤].

ومن النافل ذكره أنَّ بياجيه ليس الأب المؤسّس للتكوينيَّة، بل إنَّ مؤسّسها هو "مارك بولدون" الذي وسمها بـ "الإبستمولوجيا الجينيَّة"[٥]، ومدارها أنَّ المعرفة «تنطلق من صياغة نظريَّة حول الإنسان: كيف يتدرَّج نشوؤه التكويني، وكيف تتجلَّى مقوّماته الإدراكيَّة، وبأيّ سلك يرتبط تفكير الإنسان عندما ينمو من مرحلة إلى أخرى، وتبيّن تصادم تصوّرين متواجهين: تصوّر يقول أصحابه بأنَّ كلَّ محصّلات العقل الإنساني هي معمار تنبني مفاصله على التدريج؛ وتصوّر يذهب القائلون به إلى أنَّ معظم حصيلة الفكر الإنساني هي محدَّدة بالفطرة التي

THIS WORK IS LICENSED UNDER A CREATIVE COMMONS ATTRIBUTION 4.0 INTERNATIONAL LICENSE

يوهب إيَّاها وقصارى أمرنا أن نسبر أغوار هذه الكنوز المودَعة في فطرة الكائن لأنَّها تكاد لا تعرف حدًّا تقف عنده»[٦]. أمَّا في أنموذج بياجيه فالمعرفة عمليَّة بناء مستمر؛ لأنَّ في كلِّ خطوة معرفيَّة للفهم ثمَّة درجة ما من متضمّنات ذلك الفهم، وعليه فإنَّ المشكلة المركزيَّة المحيطة بالإبستمولوجيا التكوينيَّة تتعلَّق بآليَّة بناء هذه الأشياء المتضمّنة الجديدة، ما يبرز الحاجة الملحَّة إلى العوامل التفسيرية[٧]، ويقابلها في المفاهيم اللسانيَّة متضمّنات القول؛ فكثيرًا ما يكون القصد أوسع من القول، بمعنى أنَّ المنتج يضمّن نتاجه أمورًا أو معاني لا يذكرها بصريح العبارة، وهنا تكون الجدَّة؛ إذ غالبًا ما تكون هناك معانٍ جديدة يكشفها التأويل الهرمنيوطيقي مع الحاكميَّة المطلقة للسياق.

والحقيقة أنَّ هذه المشكلة هي الوازع الرئيس في قيام العلوم اللسانيّة عمومًا، والنظريَّات التداوليَّة على وجه الخصوص؛ وتتمحور المشكلة في حاجة المجتمع إلى آليَّات جديدة لكشف معاني النصوص؛ إذ لم تعد الآليَّات القديمة منسجمة مع متطلبَّات الحداثة، وقد تكفَّلت نظريَّة "الصلة أو المناسبة" التي جاء بها "دان سبيربر، وديدري ويلسون"[٨] بحلِّ جزءٍ من هذه المشكلة فيما طرحته من آليَّات كشف يشترك في نجاحها كلٌّ من المنتج والمتلقّي. ثمَّ اتَّسعت الإبستمولوجيا التكوينيَّة لتشمل علوم "الرياضيَّات، والفيزياء، والمنطق، والبيولوجيا، والسيكولوجيا، والمعارف اللسانيّة" اتّساعًا يمكن له أن يجيب عن سؤال التكوينيَّة القديم: **كيف تتكوَّن الأفكار، أو كيف تنمو المعارف؟** والحقُّ أنَّ هذه الأسئلة وجدت قبل بياجيه، بل إنَّها شغلت الفكر الفلسفي وطرًا لم يعمد إلى إجابتها إلَّا بطرائق التفكير الشخصي الأيديولوجي، وأخيرًا جاء الحلُّ من بياجيه في كونه وضع هذه التساؤلات على طاولة التجربة العلميَّة مؤكِّدًا أنَّ هناك أشكالًا عديدةً من المعرفة، وكلُّ شكل منها يثير عددًا من المسائل الخاصّة في إشارة منه إلى تعدّد المعارف الذي يستلزم تعدّد الإبستيمات[٩]. وانتقد النظريَّات التي عالجت هذه المسألة، ورأى أنَّها نظريَّات انهزاميَّة، تقوم على الاستقراء الناقص لتجنّب النتائج الدقيقة التي ربَّما كانت صادمة، أو متعارضة مع أيديولوجيَّات أصحاب تلك المناهج، يشعر بذلك قوله: «إنَّ نظريَّة الميكانيزمات المشتركة لنواحي النمو المختلفة التي تُدرس بشكل استقرائي بالإضافة إلى ظواهر أخرى تكوّن نهجًا يحاول أن يصبح علميًّا... إنَّ الطريقة التكوينيَّة تبغي دراسة المعارف تبعًا لبنائها الحقيقي السيكولوجي، ومن ثمَّ اعتبار كلّ معرفة وكأنَّها مرتبطة إلى حدٍّ ما بميكانيزم هذا البناء»[١٠].

إنَّه يؤكّد دراسة المعارف تبعًا لبنائها النفسي، ومن ثمَّ جعل كلّ المعارف مرتبطة بمنظومة هذا البناء، أي بالانطلاق من دراسة الشخصيَّة، وسلوكها، ومدركاتها، بل حتى علاقاتها مع غيرها باستدعاء علوم النفس وغيرها؛ أمَّا استدعاء علم النفس في معالجات التكوينيَّة فيمثّل قاسمًا مشتركًا بينها وبين نظريَّة الصلة التي تحدَّث الباحث

THIS WORK IS LICENSED UNDER A CREATIVE COMMONS ATTRIBUTION 4.0 INTERNATIONAL LICENSE

عنها سلفًا، فضلًا عن أنَّ سؤالهما واحد؛ وهو كيف تُبنى المعرفة وكيف تتجدَّد؟ إذ يطرح الباحثان "سبيربر، وولسون" السؤال نفسه من خلال مفهوم التأثيرات السياقيَّة، أو فائدة المعلومات الجديدة ومدى إغنائها المحيط المعرفي عند المتلقّي، وهذا ما جعل الباحث يرجّح كون نظريَّة الصلة قد عالجت سؤال الإبستمولوجيا التكوينيَّة. إنَّ قصدَ الباحث من هذه المعارف هو المعرفة اللغويّة التواصليَّة بطرح أسئلة بياجيه نفسها، لكن بصيغة مختلفة: **كيف تتكوَّن المعرفة اللغويّة، وكيف لها أن تكون تواصليَّة؟** لا شكَّ في أنَّ مسألة نمو المعارف وتطوّرها تعني الانتقال من معرفة بسيطة أو أقل صدقًا إلى معرفة أكثر غنى وتنسرب إلى المعارف اللغويّة، أمَّا أثر تكوّن المعرفة اللغويّة في التواصل، من المنظور التكويني، فيتجلَّى في أنَّ التواصل غير متحقّق من دون المعارف السيكولوجية والسوسيولوجيَّة، أي أنَّه يجب أن يكون هناك أثرٌ للمعطيات النفسيَّة التي تتعالق مع عناصر الحوار الأخرى لإيقاع التواصل المجتمعي، وهذا يعني أنَّ اعتبار المنهج التكويني ليس عاملًا مساعدًا في تكوّن المعارف اللغويّة بقدر ما هو أصلٌ ثابت ذو أهميَّة بالغة في إحداث الفهم والإفهام. هذا من جهة. ومن جهة أخرى فإنَّ باب التأويلات مفتوح على أن يراعى السياق بوصفه الحاكم الفعلي لكلّ عمليَّة تواصليَّة.

ثانيًا: مرجعيَّة الإبستمولوجيا التكوينيَّة

يستطيع الفرد أن يستدلَّ بشكلٍ تدريجي على الكيفيَّة التي يجب أن تكون عليها الأمور في محيطه، هذه قراءة إجمالية لمصادر المعرفة عند بياجيه التي يمكن أن يُستَدلَّ عليها بطريقين يتوقَّف أحدهما على الآخر، **الأوَّل:** علاقة الإنسان بالبيئة الاجتماعيَّة والماديَّة المحيطة به، أي استحصال المعرفة من عالم الناس، والأشياء، والخبرة، شريطة أن يكونَ الفرد سويًّا في التفاعل مع بيئته؛ إذ لا يستطيع الفرد أن ينظّم المعلومات المتناثرة ويفرغها في نظام لغويّ غير متناقض ما لم تكن هناك موازنة بينه وبين مجتمعه. أمَّا الطريق **الثاني**، فيتمثَّل في القدرة التي يمنحها العامل الوراثي. ومن هذين الطريقين يكون تنظيم المعلومات المتناثرة، وضبطها في نظام لغويّ غير متناقض، إلَّا أنَّ الطريق الأوَّل لا يعطي هذه النتيجة كاملة؛ إنَّما هو عامل مساعد على فهم ما يراه الإنسان بالطريقة الثانية النابعة من الوراثة والتكوين، إنَّهما يسيران نحو تكامل لا يكون بأحدهما، هما معًا يحققان المعرفة[١١]. التي تنشطر إلى جهتين، **الأولى:** لا تنبع من الحاكميَّة العقليّة ويسّميها بياجيه "**المعرفة الشكليَّة أو الصوريَّة**"، وتمثّل أسَّ التحدّي بين البنائيَّة التطوريَّه "بياجيه" وعقلانيَّة ديكارت وكانط المثاليَّة، إنَّها ليست معرفة الأشياء بما هي، بل بما تدلُّ عليه؛ أي أنَّ العقل لا يُلزم الواقع بهذه المعرفة مسبقًا، بل الأسبقيَّة هنا للفعل وليس للعقل؛ خذ مثلًا الطفل الرضيع حين يرى حلمة زجاجة الرضاعة ويهرع رأسًا إلى مضغها، إنَّه لا يعرف ما هي؛

THIS WORK IS LICENSED UNDER A CREATIVE COMMONS ATTRIBUTION 4.0 INTERNATIONAL LICENSE

إلَّا أنَّ مفهومًا في تصوراته الذهنيَّة تجلّى مصداقًا في هذه الزجاجة فأثارته دون أن يعيَها، ويدعّم هذا التصوّر التجربة، فيصل إلى الإدراك بأنَّها ترفع جوعه بالتجربة وإلّا لما توجَّه إليها. على أنَّك تستطيع افتراض أنَّ هذه المعرفة نسبيَّة تتضاءل بالتقادم وتتحوَّل إلى معرفة إجرائيَّة بعد أن تتغيَّر المدركات العقليَّة.

أمّا **الثانية**: فهي النابعة من الحاكميَّة الفعليَّة للعقل ويسمّيها "**معرفة الإجراء أو معرفة الفعل**" وهي المعرفة التي تتوصَّل إلى الاستدلال في أيّ مستوى من المستويات، يقول بياجيه: «تهتمُّ المعرفة الإجرائيَّة بالكيفيَّة التي تتغيَّر بها الأشياء بالانتقال من حالتها السابقة إلى حالتها الراهنة، أمَّا المعرفة الشكليَّة فتهتمُّ بالأشياء في حالتها الساكنة وخلال لحظة زمنيَّة ثابتة»(١٢). وهكذا سار بياجيه في معالجة كيفيَّة تكوين المعرفة، وتوصّل إلى أنَّها تمرُّ بمراحل عديدة؛ "مرحلة السلوك الحسّيّ أو الحركيّ، ومرحلة ما قبل إدراك المفاهيم أو الميتاإدراك، ومرحلة النمو التخمينيّ أو الحدسيّ، ومرحلة العمليّات الصوريَّة"، وقرَّر أنَّ المعرفة العلميَّة ليست ثابتة، بل تطوريَّة ومتغيِّرة على الدوام(١٣). والصحيح أنَّ المعرفة لا تتغيَّر بل تتكامل في كلّ مرحلة، أيْ تنتقل من معرفة خفيفة إلى معرفة عاليَّة، والمعروف واحد وليس غيره، فما دام الشيء المعروف _أي الموضوع_ واحدًا فإنَّ المعرفة نفسيًّا تتبدَّل من درجة إلى أخرى؛ من شكّ ووهم إلى ظنّ إلى يقين.

ولكي يحدّد الباحث القاسم الموضوعي بين هاتين المعرفتين يفترض أنَّ المعرفة الأولى "الشكليَّة" هي اللغة المعبِّرة عن الواقع في لحظة ما، وهذه اللغة تظلُّ خادعة ومناورة ما لم تتحول إلى معرفة إجرائيَّة تنتج من تنسيق الأفعال؛ فحلمة زجاجة الرضاعة وإن غطَّت الحاجة الفعليَّة للطفل إلَّا أنَّها لا يمكن أن تحلَّ محلَّ الأم في حال من الأحوال، وبعبارة أدق: تقوم المعرفة الحقيقيَّة، عند بياجيه، على تحويل المعرفة الشكليَّة الساكنة إلى متحركة إجرائيَّة؛ من أجل أن يفهمها العقل، فالشكلية تصف الحالة والإجرائيَّة توضّح سبب حصول هذه الحالة، وبهذا تكون المعرفة الشكليَّة متغيرة بتغيّر أدوات المعرفة أو بتطور الذهن الذي يتحوَّل من واصف إلى محلل.

وهنا يجد الباحث رابطًا غريبًا بين بياجيه وتشومسكي؛ فالجملة السطحيَّة عند تشومسكي تشبه إلى حدٍّ ما المعرفة الشكليَّة عند بياجيه؛ فكلاهما ليس حقيقة، والحقيقة هي المعرفة الإجرائيَّة التي تقابل البنية العميقة عند تشومسكي، وبالعودة إلى مثال الطفل يظهر الفارق في أنَّ التحوّل من الشكل إلى الإجراء عند بياجيه بسبب التطور الزمني في عمر الطفل، في حين يرى تشومسكي أنَّ البنية العميقة نتيجة للنضج البيولوجي الحادث في الملكة الفطريَّة.

ومن الجدير بالذكر أنَّ بياجيه قام بتوزيع أنموذجه التكويني على فرعين: «يبحث الأوَّل في مبادئ العلوم، ويهدف إلى تقويمها بغية تفسير التطوّر الفكريّ للإنسان وصولًا إلى وضع رؤية مستقبليَّة لهذا التطوّر. ويسمَّى هذا الفرع "**علم تاريخ المعرفة**" رغم كونه أقرب إلى الفلسفة منه إلى العلم في مفهومنا الحديث... أمَّا الفرع الثاني فإنَّه

THIS WORK IS LICENSED UNDER A CREATIVE COMMONS ATTRIBUTION 4.0 INTERNATIONAL LICENSE

يبحث في تطوّر المعارف عند الإنسان الفرد منذ ولادته وحتى بلوغه سنَّ الرشد»[١٤]، والظاهر في تقسيم بياجيه أنَّ الأوَّل منه يصدق على الإبستمولوجيا العامَّة وما تنطوي عليه من دراسة المبادئ، والفرضيات، والنتائج؛ لتحديد الأصل المنطقيّ للعلوم كافَّة، والقيمة المعرفيَّة، والمدى الموضوعيّ. إنَّما الاختلاف في النتيجة؛ فالإنسان هدف لعلم تكوين المعرفة، والعلم هدف للإبستمولوجيا.

وأنَّ البحث في تطوّر المعارف عند الإنسان يسعى إلى أمرين: **أوّلهما**: تفسير الظواهر المعرفيَّة، وله اسمان مبنيَّان على أساس المنهج، فإذا استعمل منهج العلوم التجريبيَّة انضوى تحت عنوان "**علم النفس المعرفي**". وإذا استعمل نتائج التشريح الدماغي والعصبي اندرج تحت عنوان "**علم نفس الأعصاب**". **وثانيهما**: تحليل كيفيَّة توليد المعرفة عند الطفل وتفسير عمليَّة نمائه الفكريّ، ويسمَّى "**علم تكوين المعرفة**"، ويهدف إلى تفسير التطوّر الفكريّ للإنسان، وأخيرًا وضع رؤية مستقبليَّة لهذا التطور[١٥]، وبهذا يكون التكوين قد أضاف إلى الإبستمولوجيا وظيفة أخرى تتمثَّل في وضع الرؤى المستقبليَّة للمعارف البشريَّة، وأضاف أيضًا معرفة أخرى إلى البحث؛ هي أنَّ بياجيه ليس مؤسّسًا ولا مكتشفًا لهذه الطريقة، بل حاول أن يفسِّر ما يألفه الفلاسفة آنذاك ولم يستطيعوا تفسيره.

المحصَّل من القول أنَّ الإبستمولوجيا في نظر بياجيه نظريَّة علميَّة في المعرفة؛ لأنَّها تستلهم موضوعاتها، ومناهجها، ومسائلها، من العلم نفسه، أو من مخرجاته المتمثّلة بالمشاكل التي يطرحها تقدّم العلم على العلماء المتخصّصين، كلٌّ بحسب اختصاصه؛ فكلَّما تطوَّر العلم زادت تساؤلاته وكثرت مشكلاته، إنَّها تُعنى بالمعرفة العلميَّة أساسًا في محاولة منها لتقديم حلول علميَّة لقضايا المعرفة عامَّة.

أو أنَّ الإبستمولوجيا في نظره فلسفة العلوم المفتوحة التي تشتغل على وفق قابليَّة العلوم، ولا تتقيّد بنسق فلسفي معيّن، بل لا تجعل ذلك النسق من مهامها، ولا من مشاغلها؛ إنَّها تتمسَّك بنسبيَّة المعرفة تمسّكًا صارمًا، ومبدأ "القابليَّة للمراجعة"، وليس الثبات المطلق؛ أي أنَّها تُعنى بجوانب النقص، والخطأ، والفشل، في الميدان المعرفي، أكثر من عنايتها بالكشف عن الحقيقة، كلُّ هذا يجعلها فلسفة مشروعة تواكب تطوّر العلم وتقدّمه، إنَّها إذن فلسفة العلوم المفتوحة[١٦].

THIS WORK IS LICENSED UNDER A CREATIVE COMMONS ATTRIBUTION 4.0 INTERNATIONAL LICENSE

المبحث الثاني

النظريَّة التوليديَّة التحويليَّة "نعوم تشومسكي"

أوَّلًا: امتداد اللسانيَّات البنيويَّة في النظريَّة التوليديَّة التحويليّة

تقتضي الدراسة على وفق مبدأ التكوين معالجة الامتداد الإبستمولوجي للمعرفة المستهدفة في البحث من طريق تتبّع أصلها المنطقيّ، ولمّا كانت النظريَّة التحويليَّة مندرجة في ضمن المعارف الخاصَّة فهذا يستلزم بيان تكوّن تلك النظريَّة ونموّها من طريق الربط بين علم النفس التطوّريّ والإبستمولوجيا العامَّة، وعدم التعاطي معها بوصفها واقعة نهائيَّة كاملة، ولمّا كانت ظلال البنيويَّة ظاهرة في النظريَّة التوليديَّة التحويليّة؛ صار لزامًا كشف تلك الظلال.

وضعت الإبستمولوجيا التكوينيَّة جملة من الأسئلة التي تمكّن الباحث من مراجعة الامتداد المنطقيّ للمعرفة التي يشتغل عليها، وتيمنًا بهذه الأسئلة يضع الباحث أسئلة البحث ويحاول الإجابة عنها في تضاعيفه: كيف انطلقت صياغة النظريَّة التوليديَّة التحويليَّة، وكيف تدرَّج نشوؤها التكويني، أين تتجلَّى مقوماتها اللسانيَّة، ما صيغتها النهائيَّة، وبأي جهة ارتبط سلك النظريَّة عند نموها من مرحلة إلى أخرى، هل كانت محصّلاتها معمارًا تتبني مفاصله على التدرّج، أم إنَّ محصلاتها كانت ثاويةً في مساحة ما خلف القضايا الأوَّليَّة، وكان عمل تشومسكي مجرَّد سبر أغوارها؟ وقبل كلِّ هذا: كيف نظر جان بياجيه إلى اللغة؟

يقول بياجيه: «إنَّ اللغة مؤسَّسة جماعيَّة ذات قواعد تفرض نفسها على الأفراد وتتناقل بطريقة جبريَّة من جيل إلى آخر منذ أن كان الناس، تشتق أشكالها الخاصَّة من أشكالٍ سابقة تتحدر هي نفسها من أشكال أكثر بدائيَّة وهلمَّ جرًّا دون توقّف منذ أصلٍ وحيد أو أصولٍ أوليَّة متعدِّدة»(١٧).

ويقول تشومسكي في مفهوم اللغة: «اللغة مجموعة محدودة أو غير محدودة من الجمل، كلُّ جملةٍ فيها محدودة في طولها، قد أنشأت من مجموعة محدودة من العناصر. فجميع اللغات الطبيعيَّة في صيغتها المنطوقة أو المكتوبة هي لغات بهذا المفهوم»(١٨).

يظهر من هذين القولين مجموعةُ ملاحظ:

١- يقترب تعريف بياجيه، في مجمله، من الوضع الحالي للغة ويبتعد عن أصلها وكيفيَّة حصولها وسيرورتها.

٢- يشي نصّ بياجيه إلى أنَّ الفرد ليس مالكًا للغة ولا واضعًا حدودها، ويزيد على ذلك بأنَّه لا يختارها بحريَّة، ويمكن القول إنَّه يدخلها مثل دخوله الأنظمة الجاهزة نسبيًّا.

THIS WORK IS LICENSED UNDER A CREATIVE COMMONS ATTRIBUTION 4.0 INTERNATIONAL LICENSE

٣- ويشي أيضًا بأنَّ الفرد لا يملك الخيرة في عدم تعلّم اللغة وأنَّ زمام هذا الأمر ليس بيده؛ إذ إنَّها تفرض نفسها عليه، ولا يمكنه إعادة ابتداعها من اللا شيء.

٤- يتعاطى بياجيه مع اللغة بوصفها كيانًا تاريخيًّا حركيًّا، ينماز بالتحوّل ولا يعرف الثبات، أي أنَّها بناءٌ متغيّر تدريجيًّا لا يمكن أن يولد مكتملًا.

٥- يلتقي قول بياجيه مع قول تشومسكي في أنَّ الفرد لا يبتدع القواعد، ويبتعد عنه في أنَّ الأوّل يؤكّد تاريخيَّة القواعد مثلما يؤكّد اجتماعيتها، والثاني يراها عقليَّة، وهذا يعني أنَّ القواعد تنتقل، في المفهوم الأوّل، انتقالًا تاريخيًّا تكوينيًّا، وفي الثاني، تفعيلًا متكرّرًا لنشاط فطري واحد.

٦- يقصد تشومسكي بالمحدود "الأصوات، والكلمات، والقواعد"، ولم يذكر اللامحدود نظريًّا لكنه واقع في نظريته التوليديَّة التحويليَّة؛ فاللامحدود عنده التوليد ونتائجه القائمة على القدرة الذهنيَّة التي لا تعتمد على التجربة في الإنشاء وإنَّما تعتمدها في التشغيل والإبداع.

٧- يقع تشومسكي في مغبَّة التعميم هذا الخطأ المنهجي الخطير؛ إذ يعمّم المفهوم على جميع اللغات؛ سواء تلك التي يتحدَّثها ويفهمها أو التي لا يعرفها حتى، وقد يغتفر له هذا التعميم عند إزالة اللبس؛ ذلك أنَّه ربَّما يتحدَّث عن الولادة الذهنيَّة للغة بصرف النظر عن أدائها في الاستعمال.

٨- الخلاصة أنَّ اللغة عند بياجيه مؤسَّسة اجتماعيَّة تاريخيَّة تبني قواعدها تدريجيًّا وبشكلٍ تفاعليّ، وتفرض نفسها على الأفراد بطبيعتها التداوليَّة لا بحكم فطرتها، أمَّا تشومسكي فيراها ملكة عقليَّة فطريَّة ذات بنية خاصَّة تسبق التجربة، ولا تتكوَّن قواعدها على وفق صيرورة تاريخيَّة بل تفعَّل بالتجربة والاستعمال.

وزيادة على ما تقدَّم فإنَّ تعريف بياجيه يظهر تقاربًا بين المفهوم الذهني للتكوين وسيرورة الجمل في التوليد والتحويل، ويمهّد للقول إنَّ النظريَّة التوليديَّة التحويليّة لم تكن خاليَّة من المرجعيَّات الفلسفيَّة واللسانيّة، وإنّما كان ظلال فلسفتها امتداداً للنظريَّة النحويَّة وقوانين تركيب الكلام على اختلاف اللغات وتغاير صور نشأة تلك اللغات، وكان ظهور النظريَّة التوليديَّة التحويليّة في النصف الثاني من القرن العشرين، تقويضاً لأسس المدرسة السلوكيَّة(١٩)، ودعائمها التي سادت قبيل مجيء تشومسكي بمشروعه اللسانيّ؛ إذ استعاض عن الفلسفة السلوكيَّة ورؤيتها بدراسة اكتساب اللغة وتعلّمها انطلاقًا من تصوّر عقلانيّ يقوم على فطرية اللغة(٢٠). ولعلَّ الغاية التفسيريَّة التي طبعت مبدأي التوليد والتحويل وما ينضوي تحتهما من مفاهيم، كان لها الأثر الرئيس في نشوء مرتكزات قويَّة ومبادئ متينة، دفعت بها إلى تحقيق ثورة كبرى في الدرس اللساني الحديث.

يمكن القول _تجوّزًا_ إنَّ مرحلة صياغة النظريَّة قد ارتبطت بجملة الانتقادات المنهجيَّة التي وُجِّهت إلى تشومسكي

THIS WORK IS LICENSED UNDER A CREATIVE COMMONS ATTRIBUTION 4.0 INTERNATIONAL LICENSE

في مصادرته على أنَّ التطوّر الرئيس للنظريَّة اللسانيَّة في علاقتها مع الذهن قد بدأ في القرن السابع عشر، ثمَّ اندثر في القرن الثامن عشر، والحال أنَّ هناك فكرة سائدة؛ مفادها: أنَّ اللسانيَّات الحديثة لم تظهر إلَّا في القرن التاسع عشر، وعلى الرغم من تأكيده هذه المسألة إلَّا أنَّه أغفل بعض المصادر اللسانيَّة التي سبقت القرن السابع عشر، وعمَّم إطلاق تسمية"**اللسانيَّات الديكارتيَّة**" على طائفة من المفكرين غير متجانسة فكريًّا، ولا سيَّما أنَّ هناك جملة من المقاربات العقلانيَّة غير الديكارتيَّة(٢١) للغة آنذاك، وبأثر ذلك النقد أعاد تشومسكي بلورة الفكرة في ذهنه من أجل إدراك الصورة الدقيقة للتراكم المعرفيّ للسانيَّات قبل القرن التاسع عشر، وتقييم الأهميَّة المعاصرة لهذا الإسهام، ومن ثمَّ البحث عن سبل استثمارها وتطويرها للارتقاء في مسألة دراسة اللغة(٢٢).

يظهر أنَّ تشومسكي قد أفاد كثيرًا من الفرضيَّة الديكارتيَّة في صياغة النظريَّة التوليديَّة التحويليَّة، ذلك أنَّ فرضية ديكارت تنبني على محور رئيس؛ وهو أنَّ الذهن يمتلك قدرات وأفكارًا فطريَّة تتجاوز قدرتي التحليل والتركيب العقليَّتين، ويقع الإنتاج الذهني في ضمن هذه القدرات؛ فالإنسان قادرٌ على إنتاج عددٍ لا متناهٍ من الجُمل والتراكيب، يزيد كثيرًا على ما اكتسبه في مراحل العمر المتقدِّمة، وهذا يعني أنَّ قضايا الإنتاج اللسانيّ وزيادة ذلك الإنتاج تفوق نظريَّة الاكتساب، ويؤشِّر إلى أنَّها قدراتٌ مكنونة فطريًّا داخل العقول البشريَّة، والحقيقة أنَّ هذا الأمر _الإفادة من الفرضيَّة الديكارتيَّة_ لم ينكره تشومسكي؛ بل أقرَّ بتأثير ديكارت على تفكيره في مناسبات عديدة(٢٣).

يكمن النشوء التكويني للنظريَّة التوليديَّة التحويليَّة وكذلك مقوماتها اللسانيَّة في أنَّها ظهرت بوصفها ردة فعل على اللسانيّات البنيويَّة(٢٤)، التي أخرجت كلَّ ما هو خارج اللغة من مجال البحث اللسانيّ، بيد أنَّ النظريَّة التوليديَّة التحويليّة قد استعانت ببعض الأسس البنيويَّة فجعلت ميدان عملها الجملة، ويدلُّ على ذلك قول سعيد بحيري: «أمَّا النحو التوليديّ _التحويليّ والتوليديّ _ الدلاليّ للنصّ، فقد بني على أفكار تشومسكي الجوهريَّة، وبخاصَّة بعد تطويره لها بإدخال الجانب الدلاليّ بصورة أعمق، ومراعاة عناصر دلاليَّة لم يكن لها مكان في أشكال التحليل في صورته الأوليَّة، وعلى الرغم من الحذر الشديد الذي اتَّسمت به إضافات تشومسكي ذاتها، فإنَّ أتباعه قد توسّعوا في طرق الوصف والتعليل توسعًا كبيرًا، غير أنَّهم لم يخرجوا عن إطار مفهوم الجملة»(٢٥).

ومن الباحثين من لا يتردَّد في ربط النظريَّة التوليديَّة بالنظريَّة البنيويَّة مؤكداً أنَّ عناية تشومسكي بالجملة وحدها، أو بالقدرة الإبداعيَّة للغة، لا ينفي عن نظريته الصبغة البنيويَّة العامَّة، وتشي بذلك تسمية "جون بياجيه" الاتجاه التوليديّ بـ "البنيويَّة التحويليَّة" في إشارة واضحة إلى العلاقة بين المنهجين(٢٦)، ولكنَّها، أي التوليديَّة، أعطت

THIS WORK IS LICENSED UNDER A CREATIVE COMMONS ATTRIBUTION 4.0 INTERNATIONAL LICENSE

بعدًا مركزيًّا للمتكلم، وفي هذا الموضع تفارق التوليديَّة الفلسفة البنيويَّة التي تُعنى بدراسة تشكّل الدلالة وانبنائها، وتقوم على دراسة النصّ في ذاته ومن أجل ذاته، فتلغي الاعتبارات الخارجة عن النص، مثل المعطيات التاريخيَّة والنفسيَّة والاجتماعيَّة، وتجرّده عن كلِّ ما يدور خارجه من علاقة بالواقع الاجتماعيّ أو أحوال قائل النصّ نفسه، أي التعاطي مع النصّ بوصفه بنيةً مستقلةً تدرس لذاتها ومن أجل ذاتها، ويمكن توضيح النقاط الفارقة بين النظريَّتين بالجدول الآتي(٢٧):

	يَّة البنيويَّة	يَّة التوليديَّة التحويليَّة
	ة وصفيَّة عمادها الاستقراء	ة تفسيريَّة تقوم على الاستنباط
	بالبناء السطحيّ للكلام	بالعمليَّات الداخليَّة التي تسبق الكلام
	على النزعة التجريبيَّة	ة الذهنيَّة أو العقليَّة أساسها
	اللغة على أنَّها عمليَّة آليَّة	في تصوّرها عمليَّة إبداعيَّة حيويَّة
	منها وصف الوحدات اللسانيَّة وتصنيفها فيمات، فونيمات"	الآليَّة الكامنة في الذهن، القادرة على توليد عدد محدود من الجمل
	الأثر الإيجابيّ للمتكلم	بالخلق اللغويّ غير المتناهي للمتكلم
	بالمظهر السلوكيّ للغة	مظهر اللغة الحركيّ داخل الذهن، وتحرَّكت من إلى نحويَّة الجمل
	الإجابة عن تساؤل: ما اللغة؟	الإجابة عن تساؤل: كيف يتم إنتاج اللغة وإبراز ى؟

ومن الجدير بالذكر أنَّ المفاهيم المنضوية تحت القواعد التوليديَّة في تطوّر مستمر منذ وقت التأسيس في عام ١٩٥٧م حين ظهر كتاب "**البنى التركيبيَّة**" لتشومسكي؛ إذ حاول بناء النظريَّة باستدعاء الأشياء المتضمّنة في الفطرة، أي تصديرها على وفق بنائها النفسي، والنتيجة أنَّ كلَّ تفصيلات النظريَّة تكون مرتبطة بمنظومة ذلك البناء.

ثمَّ ظهر كتاب "**مظاهر النظريَّة التركيبيَّة**" الصادر في عام ١٩٦٥م للمؤلف نفسه، وكتابه الموسوم بـ "**دراسات الدلالة في القواعد التوليديَّة**" الذي ظهر عام ١٩٧٢م ، وكتاب "**دراسات في الشكل والتفسير**" عام ١٩٧٧م، وهذا التدرّج التاريخي في صدور هذه النتاجات إنّما يقوم على فرضيَّة علميَّة ترى أنَّ الدراسات اللاحقة يمكن أن تُعدّل النظريَّات السابقة، فضلاً عن أنَّه يمثّل البعد العمليّ لمرحلة بحث تشومسكي الدائب عن نظريَّة تتلافى جوانب النقص التي خالجت النظريَّة الأولى منذ النشأة، ولعل السبب في ذلك هو تطور الفكر الذاتيّ للباحث،

THIS WORK IS LICENSED UNDER A CREATIVE COMMONS ATTRIBUTION 4.0 INTERNATIONAL LICENSE

ونقد تلامذته وزملائه(٢٨)؛ إذ «إنَّ كلَّ فرضيَّة في إطار الألسنيَّة التوليديَّة صحيحةٌ ما لم تبرهن المعطيات اللاحقة عدم صحَّتها، وبالتالي، كلُّ فرضيَّة قابلة مبدئيًّا أن يعاد النظر فيها»(٢٩).

الناظر في هذه المؤلفات لتشومسكي يستطيع أن يصل إلى نتيجة مفادها: أنَّ هذا التنوّع ليس تدرّجًا في التأليف بقدر ما هو تطوّر في سؤال النظريَّة، لذا ينبغي أن تُقرأ هذه المؤلفات بوصفها تحولات في سؤال المشكلة وليس تدرّجًا في التأليف؛ فلعلَّ المؤلف لم يكن، أو قل: لم يرغب في توسيع النظريَّة التوليديَّة التحويليَّة بل كان يصطدم بحدودها فيعيد بناءها، وبهذا اللحاظ يمكن القول: إنَّ تشومسكي وبياجيه وإن لم يسيرا في الطريق نفسها عند بناء النظريَّة لكنهما يستجيبان للضغط الإبستمولوجي نفسه فينتقلان من الوصف إلى وضع الشروط عند الاصطدام بحدود النظريَّة، وهذه الرؤية منطبقة تمامًا على تصوّر بياجيه لنمو المعرفة(٣٠).

يتبنَّى بياجيه مقولة النمو المعرفي بوصفه نابعًا من التفاعل بين "النضج، والخبرة"، أو بين العوامل البيولوجيَّة والعوامل البيئيَّة مع التركيز على العوامل البيولوجيَّة؛ إذ يحدث النمو المعرفي نتيجة تفاعل عمليتي "التوافق، والتنظيم"، ولكن كيف يحدث كلٌّ منهما _التوافق والتنظيم_ ثمَّ كيف يتفاعلان فينتجان المعرفة؟

يبدأ التوافق حين يكتشف الفرد عدم كفاية معارفه في حلِّ مشكلاته فيترنَّح من أجل إعادة توازنه المعرفي، فيقوم بعمليَّتين(٣١):

١- إعادة تنظيم معارفه لكشف العلاقات الجديدة بين عناصرها في ضمن ما يسمَّى بـ"التمثيل" من دون أن يحدث أي تغيّر في البناء المعرفي.

٢- في حال فشله في حلِّ الإشكال، وإن قام بعمليَّة التمثيل، وهذا يحدث عادة، فإنه يعمد إلى تكييف نفسه لحلّ الإشكال باستجلاب معارف جديدة قد تكون ضروريَّة في تدعيم عمليَّة التوازن، وهكذا دواليك، يكون النمو المعرفي من طريق مواجهة المشكلات والشعور بعدم التوازن ومحاولة الوصول إلى التوازن، وهذا ما حدث تمامًا مع تشومكسي في سيرورة النظريَّة، وهو نفسه ما يحدث للفرد في عمليتي التوليد والتحويل.

وعودًا على بدء فقد قدَّم تشومسكي في كتابه "**مظاهر النظريَّة التركيبيَّة**" عام ١٩٦٥م نظريَّة تحويليَّة أكثر تماسكًا، تختلف عن نظريَّته الأولى في أنَّها اعتنت بالتفريق بين مفهوم أصوليَّة الجملة ومفهوم تقبّل الجملة، فضلًا عن التمييز بين البنية العميقة والبنية السطحيَّة، وإدراج المكون الدلاليّ في القواعد(٣٢) ولعلَّ هذا التفريق مستنبطًا من التمييز بين "المعرفة الشكليَّة أو الصوريَّة، ومعرفة الإجراء أو العقل" عند جان بياجيه؛ إذ تنبع الأولى من الحاكميَّة العقليَّة وتطمح إلى معرفة الأشياء بما تدلُّ عليه، وليست معرفة الأشياء بما هي، في حين

THIS WORK IS LICENSED UNDER A CREATIVE COMMONS ATTRIBUTION 4.0 INTERNATIONAL LICENSE

أنَّ معرفة الإجراء أو معرفة الفعل تنبع من الحاكميَّة الفعليَّة للعقل ولا يُتوصَل إليها إلَّا بالاستدلال.

وزيادة على إضافات تشومسكي هذه قدَّم النحاة التوليديّون نظريَّات أخرى في الثمانينيات، وفي ضمنها "**نظريَّة القواعد المعجميَّة**" التي تعتمد على الخصائص المعجميَّة، وتؤيّد فكرة الحقيقة النسبيَّة لتشومسكي التي تقتضي _في صحّة النظريَّة النحويَّة_ أن تكون قادرة على وصف نظام اللغة الذي يملكه الفرد المتكلم في ذهنه، وليس ذلك المستخلص من المادة اللغويَّة المجموعة. أمَّا النظريَّة الأخرى فهي نظريَّة "**بنية التركيب المعمّمة**" التي تؤكّد وظيفة الخصائص المنطقيّة في شرح العلاقات بين أنواع الجمل المختلفة، وعَدَلَت عن اعتقاد تشومسكي السابق باستقلاليَّة النحو عن المعنى؛ إذ حاولت اكتشاف الارتباط بين الجمل ومعانيها(٣٣).

لقد ألحَّ تشومسكي منذ الانطلاق على القدرات الإبداعيَّة للغة الإنسانيَّة، إذ كان يرى أنَّ النظريَّة النحويَّة لابد من أن تعكس قدرة جميع المتكلمين باللغة، أيّ لغة كانت، على التحكم في إنتاج جملها وفهمها سواء أكانوا قد سمعوا بها من قبل، أم لم يسمعوا، فضلًا عن رؤيته أنَّ الجمل المولَّدة من القواعد النحويَّة لا بد لها من أن تكون مقبولة من أبناء اللغة وهذا ممَّا احتفى به من مميزات القواعد النحويَّة التي طوَّرها، وعدَّه أيضًا من مميزات الحدس عند أبناء اللغة من حيث قدرة الحكم على جمل معيَّنة بأنها واضحة ومقبولة أو غامضة ومرفوضة، فهو هنا يقدّم حدس أبناء اللغة على أنه دليلٌ مستقلٌ وأصلٌ من الأصول في الحكم على الجمل، لا ينبغي للمحصِّل غضُّ الطرف عنه(٣٤).

ثانياً: الجملتان التوليديَّة والتحويليَّة:

لا بدَّ من بيان مفهوم النحو من المنظور التوليديّ قبل ولوج جمله ومسائله، فالنحو التوليديّ يمثّل معنى عامًّا يندرج تحته مجموع القواعد اللغويَّة الموجودة في ذهن المتكلم، إذ «إنَّ النحو هو المعرفة اللغويَّة التي يملكها ضمنيًّا كلُّ فرد متكلم تمكّنه من الربط بين الصوت والمعنى، فالنحو بهذا المعنى هو حصيلة جميع القواعد الصوتيَّة والصرفيَّة والتركيبيَّة والدلاليَّة»(٣٥).

أمَّا الجملتان _التوليديَّة والتحويليَّة_ فهما من المفاهيم المهمَّة التي تشكل حضورًا فاعلًا في النظريَّة التوليديَّة التحويليَّة ومنهما اشتق اسم النظريَّة؛ فالتوليد «هو انبثاق تركيب أو مجموعة تراكيب من جملة هي الأصل وتسمَّى الجملة الأصل بالجملة التوليديَّة ... وأهم وصف للجملة التوليديَّة أنّها الجملة التي تؤدّي معنى مفيدًا، مع كونها أقل عدد ممكن من الكلمات، ومع كونها أيضًا خاليَّة من كلّ ضروب التحويل»(٣٦).

وتتَّصف هذه الجملة بأنَّها تؤدّي معنى كاملًا بعدد قليلٍ من الكلمات مع أنَّها خاليَّة من ضروب التحويل. فقولك:

THIS WORK IS LICENSED UNDER A CREATIVE COMMONS ATTRIBUTION 4.0 INTERNATIONAL LICENSE

"**جاء زيدٌ**". جملة توليديَّة، وقولك: "**زيدٌ جاء**". جملة تحويليّة؛ لأنّها وإن كانت بعدد قليلٍ من الكلمات إلَّا أنَّ هذه الأقليَّة لا تجعلها توليديَّة؛ لأنَّ فيها تقديمًا وتأخيرًا، والتقديم والتأخير ينافي مسألة الأصالة، أمّا مفهوم التحويل فيُفهَم _من تشومسكي_ بأنَّه تمكّن أهل اللغة وقدرتهم على تحويل الجملة الواحدة إلى مجموعة من الجمل، وهذا التحويل إمَّا أنْ يكون من طريق الحذف أو الزيادة أو يكون من طريق التقديم أو التأخير(٣٧).

وفيما يتعلَّق بالصيغة النهائيَّة للنظريَّة التوليديَّة التحويليَّة فالظاهر أنَّها تقوم على مبدأ رئيس؛ هو أنَّ لكلِّ جملة من جمل اللغة تركيبًا ظاهريًّا أو بنية سطحيَّة، ولها في المقابل تركيبٌ باطنيّ أو بنية عميقة، والحال أنَّ دراسة البنية السطحيَّة تقدّم تفسيرًا صوتيًّا للجملة، في حين تقدّم البنية العميقة التفسير الدلاليّ لها، وتقع فيما بينهما القواعد التحويليَّة التي تربط بين التركيبين، وفضلًا عن القواعد التحويليَّة التي بها يتمُّ تحويل التراكيب الباطنيَّة إلى تراكيب ظاهريَّة، توجد هناك القواعد التوليديَّة ووظيفتها تقديم الوصف التركيبيّ للجملة، وتمتاز بقدرتها على التفريق بين الجمل الصحيحة وغير الصحيحة، وتؤكّد النظريَّة صلاحيَّة النحو في توليد الجمل النحويَّة في اللغة، وتتبنَّى فكرة أنَّ كلَّ القواعد التحويليَّة هي توليديَّة ولا ينعكس؛ لأنَّ القواعد التحويليّة تصف جمل اللغة بطريقة جليَّة ومتسلسلة. أو _بتعبير آخر_: إنَّ هذه النظريَّة تقوم على عاملين أو عنصرين رئيسين هما(٣٨):

١- **التوليد:** هو خلق عدد غير متناهٍ من الجمل الممكنة بطريقة آليَّة، إنَّه إنتاج غير محدود، شريطة أن يتمتَّع بالصحَّة النحويَّة.

٢- **التحويل:** معناه مجمل التغييرات التي يدخلها المتكلّم والمستمع على النصّ، والمائز بين العاملين أنَّ الانتقال يكون من أنظمة اللغة المجردة الموجودة في الذهن والمعروفة بالبنى العميقة، إلى ما يخرج من الذهن المجرّد إلى المنطوق والمعروف بالبنى السطحيَّة المنطوقة، أي أنَّ الجملة ما دامت في الذهن فهي توليديَّة، وإذا خرجت من الذهن إلى اللسان صارت تحويليّة.

ويمكن القول إنَّ لمنهج البنيويين الوصفيّ أثرًا في صياغة النظريَّة؛ إذ أوجد الأرضيَّة التي ينطلق منها تشومسكي في إقامة نظريّته، فلولا وجود عاملي الثبات والسكون الوصفيين في دراسة اللغة لما انبثقت فكرة تفسير الظواهر اللغويَّة وتحليلها عنده، إذ انتقد تشومسكي الوصفيين الذين اعتمدوا الثبات والسكون في دراسة اللغة ووصفها وصفًا سطحيًّا ذا طابعٍ سكوني تصنيفي بعيد عن المؤثرات، واقترح اعتماد الكفاية اللغويَّة في تفسير القدرة الإبداعيَّة للمتكلّم، يشعر بذلك قوله: «من الجلي أنَّ كلَّ لغة هي نتيجة لتفاعل عاملين: الحالة البدئيَّة وسيرورة الخبرة. إذ يمكننا أن نفكر بالحالة البدئيَّة بوصفها جهاز اكتساب اللغة الذي يأخذ الخبرة كـ"دخل" ويعطي اللغة

THIS WORK IS LICENSED UNDER A CREATIVE COMMONS ATTRIBUTION 4.0 INTERNATIONAL LICENSE

كـ"خرج" يتم تمثله داخليًّا في العقل»[٣٩]. وهو بهذا يمثّل الدعوة الصريحة إلى تتجاوز الوصف إلى التحليل والتفسير للظواهر اللغويَّة فضلًا عن التراكيب النحويَّة.

ثالثاً: البنية العميقة والبنية السطحية:

تتماز اللغة _بصفة عامة_ بامتلاكها نوعين من الظهور، الظهور الخارجي، وتُدرَس في هذا الظهور من جهة شكلها الفيزيائي والبنائي وتؤوّل تأويلًا صوتيًّا، والنوع الثاني هو الظهور الداخلي، وتُدرَس في هذه الحال من جهة كيفيَّة تعبيرها عن الفكر، وتؤوَّل تأويلًا دلاليًّا[٤٠].

يؤكّد تشومسكي بنيتين في الاستعمال اللغويّ ويدفع باتّجاه التفريق بينهما، فالأولى تنتمي إلى مستوى فعليّ يؤدّيه المتكلم، أو قل: البنية الظاهرة من توالي الكلمات التي ينتجها المتكلّم في أثناء عمليَّة النطق[٤١]، وتُعرف بـ"**البنية السطحيَّة**"؛ فهي البنية النهائيَّة الظاهريَّة المستعملة في نسقٍ ما يكون في سياق سلسلة أفقيَّة من الكلمات وينضوي تحتها كلُّ المكونات الفونولوجيَّة اللازمة للتفسير الصوتي؛ وذلك لأنَّها تتماز بصفات صوتيَّة أو كتابيَّة وتسلسلٍ تركيبيٍّ منطقيّ[٤٢]، ويكون الوصول إليها _البنية السطحيَّة_ بمجموعة من العمليَّات مسوَّرة بما جاء في النحو العربي من قوانين، والعمليَّات هي: "**الحذف، والزيادة، والتوسعة، والاختصار، وإعادة الترتيب، والإحلال**"؛ إذ يرى الدكتور الراجحيّ أنَّ هذه القواعد موجودة في النحو العربي في مسائل الأصل والفرع والعامل المستعملة في التحليل اللغويّ، وقد عادت الآن في المنهج التحويليّ في صورة لا تبتعد كثيرًا عن الصورة التي جاء بها النحو العربي[٤٣].

أمَّا البنية العميقة فتتجلَّى في المضمون الرئيس المعبّر عن الصورة الذهنيَّة للمنطوق الفعلي، إنَّها تركيب ذهني ينطوي على المعطيات اللازمة لتفسير البنية السطحيَّة، ويفترض تشومسكي _في البنية العميقة_ الكليَّة اللغويَّة بالنحو، فهي الأساس الذهنيّ المجرَّد لمعنى معين يوجد في الذهن ويرتبط بتركيب جملي أصولي يكون رمزًا لذلك المعنى وتجسيدًا له، أو قل: إنَّها النواة التي لا غنى عنها في عمليَّة التلقّي الدقيق أو الفهم الصحيح للجملة من طريق تحديد معناها الدلاليّ وإن لم يكن ظاهرًا فيها[٤٤]، ولها صورتان في التحقّق الذهني[٤٥]:

١- أن يكون لها تحقّق ماديّ ملحوظ في الاستعمالات اللغويَّة المتداولة على ألسنة أبناء اللغة، مثل جملة: "**الطقس معتدل**". فهذه الجملة توليديَّة بوصفها أُسًّا لكلّ ما يشتق منها، فضلًا عن كونها بنية عميقة، وفي الحالتين ينبغي لها أن تتوافر على صفات أربعة هي: "أن تكون بسيطة غير مركَّبة، ومبنيَّة للمعلوم لا مبنيَّة للمجهول، وأن تكون مثبتة لا منفيَّة، وتقريريَّة لا إنشائيَّة".

THIS WORK IS LICENSED UNDER A CREATIVE COMMONS ATTRIBUTION 4.0 INTERNATIONAL LICENSE

٢- أن يكون لها تحقّقٌ منطوقٌ، ذلك أنَّ قولك: "**المصنع قريب**". يعني: مصنع+ تعريف+ وصف إخباري "**قريب**". فهذا هو المعنى الحقيقي وهو غير منطوق، بل المنطوق هو "**المصنع قريب**". وتأسيسًا «على ذلك تكون الجملة المنطوقة "**المصنع قريب**" هي البنية السطحيَّة بهذا الاعتبار فقط. ولكنها مع ذلك جملة توليديَّة لا تحويليّة»[٤٦].

وممَّا تجدر الإشارة إليه في أثناء الإجابة عن سؤالٍ من أسئلة البحث متعلّقٍ بالمحصّلات النهائية من النظريَّة، ومفاده: هل كانت محصّلات النظريَّة التوليديَّة التحويليَّة معمارًا تنبني مفاصله على التدرّج، أم إنَّها كانت مكنونةً في مساحة ما، وكان عمل تشومسكي مجرَّد سبر أغوارها؟

يظهر أنَّ هناك ملامح وإشارات في التراث العربيّ يتجلَّى فيها مفهوما البنية العميقة والبنية السطحيَّة، على نحو ما وُجد عند الجرجانيّ "٤٧١هـ" في تحليله لجملة: "**ضربَ زيدٌ عمراً يومَ الجمعةِ ضرباً شديداً تأديباً له**". إذ يقول: «فإنك تحصلُ من مجموعِ هذه الكلمِ كلِّها على مفهومٍ هو معنى واحدٌ لا عِدَّةُ معانٍ كما يتوهَّمه الناسُ .... وهو إثباتُك زيداً فاعلاً ضرْباً لعمْرٍو في وقتِ كذا وعلى صفة كذا ولغرض كذا. ولهذا المعنى تقول: إنه كلام واحدٌ»[٤٧]. فالنصُّ يشير إشارة واضحة للبنية العميقة التي اشتقت منها الجملة المذكورة وهي إسناد الفعل "**ضرب**" للفاعل "**زيد**".

ولمَّا توافر عند الباحث مفهومان، أو قل: بنيتان لكلِّ واحدة منهما دلالتها الخاصَّة في بنية اللغة، فإنَّ هذه الدلالة الخاصَّة تستلزم وجود فروق بين البنيتين "**العميقة والسطحيَّة**"؛ ذلك «أنَّ البنى العميقة والسطحيَّة لا تحتاج إلى أن تكون متماثلة. فالتنظيم التحتيّ المتعلّق بالتأويل الدلاليّ لا يظهر بالضرورة عبر الترتيب والتعبير الفعليين لمكوّناته»[٤٨]. ويمكن إجمال الفرق بين البنيتين بما يأتي[٤٩]:

١- تمثّل البنية العميقة المكوّن الدلاليّ الذي يقوم بتفسير البنية السطحيَّة أو قل: هي المكون التركيبيّ الذي يظهر بقواعد التحويل فيسهم في بناء البنية السطحيَّة.

٢- أمَّا البنية السطحيَّة فتمثّل التتابع الخطي للملفوظ الفعليّ وتكون فاعلة في التفسيرات الصوتيَّة للجملة.

رابعًا: أنواع القواعد التحويليَّة:

حاول تشومسكي في طرحه النظريَّة التوليديَّة التحويليَّة أن يؤسّس لنظريَّة ذهنيَّة لغويَّة عامَّة تنتظم جميع اللغات في العالم، مع تأكيده الفوارق الصوريَّة والصفاتيَّة بين تلك اللغات؛ وبأثر ذلك ركَّز على التمييز بين ما يخصّ لغة معيَّنة وبين ما يخص اللغات بصورة عامة، ومن أجل كلِّ ذلك قسم تشومسكي الشموليَّة اللغويَّة على

THIS WORK IS LICENSED UNDER A CREATIVE COMMONS ATTRIBUTION 4.0 INTERNATIONAL LICENSE

قسمين(٥٠):

الأوَّل: كليَّة منطقيّة أو شاملة منطقيّة تتمثَّل في المبادئ العامَّة التي تحدد صورة القواعد، وشكلها، وطريقة عملها من طريق النظم النحويَّة للغات معيَّنة.

الثاني: شاملة ثابتة تحدد نظمًا من العناصر التي تتصوَّر أو تتشكَّل في قواعد معينة.

وليس من اليسير في هذا البحث عرض جوانب المدرسة التوليديَّة كافة، أو الإحاطة بكلّ مفاصلها وتطوّراتها، بل الاكتفاء _وفاءً لمنهجيَّة البحث العلمي_ بعرض أهم القواعد التي ارتكزت عليها هذه النظريَّة، وعلى وفق الآتي(٥١):

١- **قواعد المراحل المحدودة:** وهي القواعد القادرة على توليد عدد غير متناهٍ من الجمل بتطبيق عدد غير متناه أيضًا من القواعد النحويَّة، وهي من أضعف القواعد التي قُدّمت في نظرية تشومسكي، والجمل على وفق هذا الأنموذج تتمثَّل في مستويين(٥٢):

المستوى الأول: تركيبي يكون بطريقة تعاقب مجموعة من الكلمات.

المستوى الثاني: فونولوجي يكون بتتابع مجموعة من الفونيمات.

٢- **قواعد بنية التركيب:** وهي قواعد تسمح بتوليد عدد كبير من الجمل بتطبيق عدد قليل من القواعد، ويسمى هذا النوع من القواعد بـ"**الأنموذج الركني**"(٥٣) وذهب تشومسكي إلى أنَّ هذه القواعد تعمل على تحليل الجملة إلى مؤلفات مباشرة، لكنّه وسَّع من هذه القواعد بما يعرف بـ"**المخطَّط المشجَّر**" الذي يحلل الجملة بالعودة إلى مؤلفاتها المباشرة مع بيان العلاقات بين عناصر التركيب(٥٤). ومضمون هذا الكلام تحليل التركيب إلى الأجزاء الرئيسة التي تألَّفت منها الجملة.

٣- **القواعد التحويليّة:** وفيها يتمُّ بيان العمليَّات التحويليَّة التي تسمح بها اللغة، ومنها "قواعد التقديم والتأخير، وقواعد الحذف والزيادة، وقواعد البناء للمعلوم والبناء للمجهول"، ولكي يحصل المتكلم على تراكيب مقبولة نحويًّا ودلاليًّا لا بد له من أن يراعي القيود التي تفرضها اللغات لهذه القوانين أو القواعد، وفي هذا القانون فرّق تشومسكي بين "الكفاءة اللغويّة، والأداء الكلامي"، إذ يعني بمفهوم الكفاءة اللغويّة: «القدرة التي تتكوَّن لدى الفرد المتكلم وتمكنه من التعبير عمَّا في نفسه بعدد لا نهائي من الجمل»(٥٥) . أمَّا مصطلح الأداء الكلامي فهو«التحقيق العيني لهذا التمكّن اللغويّ أي الكلام المنطوق أو المكتوب الذي قد يختلف أو يتَّفق وقواعد اللغة بشكلٍ أو بآخر تبعًا لظروف الكلامي أو المتكلم»(٥٦) .

THIS WORK IS LICENSED UNDER A CREATIVE COMMONS ATTRIBUTION 4.0 INTERNATIONAL LICENSE

الخاتمة

يقع هذا البحث في ضمن الأبحاث التي تُعنى بدراسة مبادئ العلوم والمعارف وفرضيَّاتها ومناهجها دراسة لسانيَّة معتوقة من الأيديولوجيا، أو _في أقلّ تقدير_ غير محكومة باعتبارات أيديولوجيَّة؛ من أجل ربط مدوَّنة البحث "**النظريَّة التوليديَّة التحويليَّة**" بأصولها المنطقيَّة لبيان قيمتها المعرفيَّة، وهذا _بالضبط_ ما يعنيه مصطلح الإبستمولوجيا بالنظر إلى معطيات المعرفة وأدواتها.

بعد هذه المقاربة الموجزة للمنهج التوليديّ التحويليّ في ضوء الإبستمولوجيا التكوينيَّة يمكن القول: إنَّ هذه الدراسة قد تتبَّعت مراحل تطوّر النظريَّة التوليديَّة التحويليَّة ومفاصل صياغتها استنادًا إلى تاريخها وتكوينها الاجتماعي، فضلًا عن الأصول السيكولوجيَّة لأفكار روّادها، والعمليَّات التي تعتمد عليها بصورة خاصَّة، وكان كلُّ ذلك على وفق الأسئلة التي منحتها الإبستمولوجيا التكوينيَّة للباحث في كشف خبايا النظريَّة وتبيين تأثّرها بما قبلها، إن بالنقد والتقويض أو بالإفادة من المقدّمات.

ويمكن القول أيضًا: إنَّ النظريَّة قد مثلت منعطفًا في تطوّر الدراسة الألسنيَّة بعد منتصف القرن العشرين، ولعل سبب وصفها بالمنعطف يعود إلى مرجعيَّاتها الفلسفيَّة واللسانيّة التي تتحرك في ضمن دائرة عدم قبول مسألة حصر المجال اللسانيّ في منطقة الملفوظ فقط، بما يشكل انعكاسات قالبيَّة ترجع في تصوراتها للتفسير السلوكيّ، وعلى هذا يكون ظهور النظريَّة التوليديَّة التحويليَّة تقويضًا لمبادئ المدرسة السلوكيَّة؛ لذا تجدها قد حملت مجموعة من المفاهيم والمصطلحات الخاصَّة بها بوصفها نظريَّة لسانيَّة بالقدر الذي يمكّنها من رسم قالبها النظريّ وجعله في إطار نظريَّة متكاملة.

وقد مرَّت النظريَّة بتحولات ومراجعات متعدّدة أعطتها طابع الاستمراريَّة والتطوّر، ويعود سبب هذه التحولات إلى تطوّر الذات الإبداعيَّة عند تشومسكي وما رافقها من تجدّد للفكر يتلاءم ومتطلبات الثورة الفكريَّة في المجال اللسانيّ، هذا من جهة، ومن جهة أخرى انتقادات تلامذته وملاحظاتهم.

وعند دخولها مرحلة التلقّي العربيّ لاقت النظريَّة مواقف متباينة في الثقافة العربيَّة توزعت بين محاولة ربطها بالتراث اللغويّ العربيّ بلحاظ عاملي التأثر والتأثير، أو وجود الملامح التوليديَّة في التراث النحويّ العربيّ، وبين الرفض لهذا الربط؛ لذا حاول البحث أن يبرّز بعض الخطوط العامَّة لتأثّر النظريَّة التوليديَّة التحويليَّة بالنتاج العربي القديم من طريق ذكر بعض نقاط التشابه في طرح الموضوعات ومعالجتها، وظهر أنَّ هذه النظريَّة تكاد

THIS WORK IS LICENSED UNDER A CREATIVE COMMONS ATTRIBUTION 4.0 INTERNATIONAL LICENSE

لا تخلو من الإلماحات والإشارات النحويَّة في التراث العربيّ في رسم إطارها العام ، فضلًا عن موضوعاتها ومسائلها.

وفيما يتعلَّق بالمعرفة فإنَّها عند بياجيه تشكّل بنائي يقوم على التدرّج ويستلزم التعاطي بين الذات والموضوع إلى حدّ التماهي وعلى وفق آليَّة متوازنة تثير تساؤلًا مركزيًّا وتجيب عنه، والتساؤل هو: هل تتشكَّل المعرفة من دون تاريخ تكوينها؟ والإجابة عنده أنَّ المعرفة لا تتشكَّل من دون تاريخ تكوين. وبناءً على هذه الرؤية يمكن القول: إنَّ اللغة بوصفها معرفة لا تختزل في كونها نظامًا مستقلًّا وحسب، بل هي نتيجة لتطوّر معرفيّ أعم.

أمَّا تشومسكي فاللغة عنده ملكة نظريَّة، وهي نتيجة لمقدّمات تسبق التجربة، والاكتساب لا يعني عنده التعلّم، بل هو تفعيل لهذه الملكة، أي: الخروج من دائرة الوعي إلى دائرة الفعل؛ إذ يُفهم من نظرته هذه للغة أنَّ الوعي باللغة إذا لم يخرج إلى دائرة الفعل فإنَّه قد يمثّل عائقًا إبستمولوجيًّا، وأنَّ السياق لا وظيفة له في الإنشاء، وتقتصر وظيفته على التحفيز، وكذلك الحال بالنسبة للخبرة بعد حين.

الهوامش

---

(١) للاستزادة يراجع بحثي الموسوم بـ "مفهوم الإبستمولوجيا ومدياتها دراسة لسانيَّة في ضوء علم المصطلح"، بحث منشور في مجلَّة آداب ذي قار، المجلَّد الأول، العدد الأربعين، ٢٠٢٢م: ٢٢ _ ٢٥.

(٢) يُنظر: المعجم الفلسفي، مراد وهبه: ٢١١.

(٣) يُنظر: ما هي الأبستمولوجيا: ١٣.

(٤) يُنظر: التطور المعرفي عند جان بياجه: ٤٦، ومدخل إلى فلسفة العلوم: ٣٧.

(٥) يُنظر: المعجم الفلسفي، مراد وهبه: ١٣.

(٦) مباحث تأسيسيَّة في اللسانيَّات: ١٥.

(٧) يُنظر: الابستمولوجيا التكوينية: ١٠١.

(٨) الأوَّل عالم اجتماع أنثروبولوجي فرنسي متخصِّص في علم الإدراك المعرفي، والثانية فيلسوفة بريطانيَّة ومتخصّصة في اللسانيَّات. يُنظر: نظريَّة الصلة أو المناسبة في التواصل والإدراك، دان سبيربر وديدري ويلسون: واجهة الكتاب.

(٩) يُنظر: التطور المعرفي عند جان بياجه: ٤٧.

(١٠) المصدر نفسه: ٤٧.

(١١) يُنظر: المصدر نفسه: ٨٢ _ ٨٣.

(١٢) المصدر نفسه: ٨٣.

(١٣) يُنظر: الإبستمولوجيا التكوينية: ٢٧ _ ٢٨، ٣٥.

(١٤) المصدر نفسه: ٢٦.

THIS WORK IS LICENSED UNDER A CREATIVE COMMONS ATTRIBUTION 4.0 INTERNATIONAL LICENSE

(١٥) يُنظر: علم تكوين المعرفة "ابستمولوجيا بياجيه"، د. مريم سليم: ٥٩.

(١٦) يُنظر: مدخل إلى فلسفة العلوم: ٣٩.

(١٧) البنيويَّة: ٦٣.

(١٨) البنى النحويَّة: ١٧.

(١٩) يرى علم النفس السلوكي أنَّ جميع معتقدات الإنسان ومعارفه سواء أكانت طرق التفكير أو السلوك أو الأفعال بسيطة أم مركبة يمكن تفسيرها من حيث هي عادات تقوم على مبدأ الشرط بحيث لا تختلف في كيفيتها أو نوعها عن الطريقة التي تتعلَّم بها الفئران في معامل علم النفس حينما تريد أن تصـــل إلى غذائها بدفع حاجز خاص في القفص الذي حبس فيه. يُنظر: نظرية تشومسكي اللغوية، جون ليونز: ٣٦ـ٣٧.

(٢٠) يُنظر: اللسانيات التوليدية، د. مصطفى غلفان: ٧.

(٢١) خذ مثلًا "**كوندياك**"؛ إذ كان عقلانيًّا في بحثه عن المعرفة الإنسانيَّة وأصل بنائها، وفي ضمنها "المعرفة اللغويَّة" بيد أنَّه لم يكن فطرانيًّا على النهج الديكارتيّ؛ لذلك صادر بعضهم على أنَّ الأثر في النحاة الفلاسفة كان لـ"**جون لوك**" وليس لـ"**ديكارت**". يُنظر: اللسانيَّات الديكارتيَّة فصل في تاريخ الفكر العقلاني، نعوم تشومسكي: ٥.

(٢٢) يُنظر: المصدر نفسه: ٥ _ ٦.

(٢٣) يرى ديكارت أنَّ قدرة توليد الكلمات وتكوين الجمل التي تجعل الأفكار مفهومة، مرتبطةٌ بمفهوم العقل الذي يرتبط _بدوره_ بالقدرة على التفكير، وبهذه المزية يختلف الإنسان الناطق عن الحيوان؛ ذلك أنَّ فقدان الحيوان النطق يرجع إلى فقدانه العقل، والنتيجة أنَّ أمر توليد الكلمات وتكوين الجمل أمر غير متاحٍ للحيوان إطلاقًا؛ لفقدانه وسيلة ذلك الأمر، أي "العقل". يُنظر: اللسانيَّات الديكارتيَّة فصل في تاريخ الفكر العقلاني: ٩، وأنطولوجيا العرفان واللسان من المنظوميَّة إلى النسقيَّة، د. عبد الرحمن طعمة. د. أحمد عبد المنعم: ٥٤.

(٢٤) البنيوية مدرسة لغوية نشأت في أوائل القرن العشرين، عندما نشر كتاب (محاضرات في اللسانيات) للساني السويسري فرديناند دي سوسير سنة ١٩١٦م في باريس، إنَّ سوسير هو الأب المؤسّس _عند الغرب_ للمدرسة البنيوية، وذلك بعد أن اتَّجه إلى دراســة اللغات دراســة وصــفيَّة بعدِّ اللغة ظاهرة اجتماعيَّة، وكانت اللغات قبل ذلك تدرس دراســة تاريخيَّة. يُنظر: نظرية البنائية في النقد الأدبي، صــلاح فضــل: ١٨، والبنيوية النشــأة والمفهوم عرض ونقد، محمد بن عبد الله بن صــالح، مجلة الأندلس للعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد ١٥، المجلد ١٦، ٢٠١٧: ٢٣٣.

(٢٥) علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات: ١٥١ _ ١٥٢.

(٢٦) يُنظر: البنيوية، جان بياجيه: ١١ _ ١٣، واللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته، حافظ إسماعيل علوي: ٢٨٣.

(٢٧) يُنظر: اللغة والمسؤولية، تشومسكي: ٦٦، واللغة ومشكلات المعرفة، تشومسكي: ١٢٢، والعقل، تشومسكي:٢٣، ونظرية تشـومسـكي التحويلية التوليدية الأسـس والمفاهيم، د. مختار درقاوي. الأكاديمية للدراسـات الاجتماعية والإنسـانية، العدد ١٣، ٢٠١٥: ٥.

(٢٨) يُنظر: مبادئ اللسانيات للدكتور أحمد محمد قدور: ٣١٤.

(٢٩) التطور الذاتي في الألسنية التوليدية والتحويلية، ميشال زكريا: ١٩.

(٣٠) ينظر: الاتجاه المعرفي، نظريَّة بياجيه في النمو المعرفي، د. حسين عبد الفتاح الغامدي: ١، ونظريَّة بياجيه البنائيَّة في النمو المعرفي، أ. علي راجح بركات: ١_٣.

THIS WORK IS LICENSED UNDER A CREATIVE COMMONS ATTRIBUTION 4.0 INTERNATIONAL LICENSE

(٣١) ينظر: الاتجاه المعرفي، نظريَّة بياجيه في النمو المعرفي: ١_٢، والنمو المعرفي عند جان بياجيه، مصطفى كومي، مجلة المعرفة، العدد العشرون، ٢٠٢٤: ٦٦٣_٦٦٤.

(٣٢) يُنظر: نظرية تشومسكي اللغوية: ١٥٨.

(٣٣) يُنظر: مدخل إلى اللسانيات، محمد يونس: ٩٨.

(٣٤) يُنظر: نظرية تشومسكي اللغوية: ٧٤ _ ٧٩، ومبادئ اللسانيات: ٣١٥.

(٣٥) اللسانيات التوليدية: ٢٨ _ ٢٩.

(٣٦) اللسانيات المجال والوظيفة والمنهج، د. سمير شريف استيتية: ١٧٨.

(٣٧) يُنظر: المصدر نفسه: ١٨٧.

(٣٨) في النحو العربي والنحو التحويلي، الدكتور فضل يوسف زيد: ٦.

(٣٩) آفاق جديدة في دراسة اللغة والعقل، تشومسكي: ٣٦، وينظر: اللسانيَّات التشومسكيَّة: عرض ونقد، د. حسين جبريل عبد النعيم، الاستغراب، العدد السابع والثلاثون، السنة العاشرة، ٢٠٢٥: ٣٦.

(٤٠) يُنظر: اللسانيَّات الديكارتيَّة فصل في تاريخ الفكر العقلاني: ١٥٩.

(٤١) الألسنية علم اللغة الحديث، د ميشال زكريا: ٢٦٧.

(٤٢) يُنظر: مدخل إلى دراسة الجملة العربية، محمود أحمد نحلة: ٦٠.

(٤٣) يُنظر: النحو العربي والدرس الحديث: ٢٤٢.

(٤٤) يُنظر: في نحو اللغة وتراكيبها منهج وتطبيق، د. خليل احمد عمايرة: ٥٨.

(٤٥) يُنظر: اللسانيات المجال والوظيفة والمنهج: ١٨١.

(٤٦) المصدر نفسه: ١٨٢.

(٤٧) دلائل الإعجاز: ٣٠٥.

(٤٨) اللسانيَّات الديكارتيَّة فصل في تاريخ الفكر العقلاني: ١٥٩.

(٤٩) يُنظر: المدارس اللسانية المعاصرة، د نعمان بوقرة: ١٥٨.

(٥٠) يُنظر: رأي المدرسة التوليدية التحويلية في تحليل الأصوات اللغوية، د. إبراهيم كونغ الجو، بحث منشور على شبكة الأنترنت: ١ _ ٢.

(٥١) يُنظر: مدخل إلى اللسانيات: ٩٤.

(٥٢) يُنظر: مبادئ اللسانيات: ٣١٥.

(٥٣) الألسنية علم اللغة الحديث: ٩٢.

(٥٤) يُنظر: مدخل إلى اللسانيات: ٩٤ _ ٩٥.

(٥٥) معجم اللسانيات الحديثة، حنا حسام الدين: ٧٩.

(٥٦) المصدر نفسه: ٧٩.

THIS WORK IS LICENSED UNDER A CREATIVE COMMONS ATTRIBUTION 4.0 INTERNATIONAL LICENSE

قائمة المصادر

الكتب المطبوعة

١. **آفاق جديدة في دراسة اللغة والعقل**، نعوم تشومسكي، ترجمة: عدنان حسن، الطبعة الأولى، دار الحوار للنشر والتوزيع، ٢٠٠٩م.

٢. **الإبستمولوجيا التكوينيَّة**، جان بياجيه. ترجمة وتقديم وتعليق، د. السيد نفادي. مراجعة وتقديم، أ.د. محمد علي أبو ريان. د. ط، دار التكوين، دمشق، سوريا، ٢٠٠٤م.

٣. **الاتجاه المعرفي، نظريَّة بياجيه في النمو المعرفي**، د. حسين عبد الفتاح الغامدي، د. ط، د. ت.

٤. **الألسنية (علم اللغة الحديث) المبادئ والأعلام**، ميشال زكريا. الطبعة الثانية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٣م.

٥. **أنطولوجيا العرفان واللسان من المنظوميَّة إلى النسقيَّة**، د. عبد الرحمن طعمة. د. أحمد عبد المنعم. دار كنوز المعرفة، د. ط، د. ت.

٦. **البنى النحوية**، نوم جومسكي. ترجمة: د. يؤيل يوسف عزيز. مراجعة: مجيد الماشطة. الطبعة الأولى، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٧م.

٧. **البنيوية**، جان بياجيه. ترجمة: عارف منيمنه، بشير أوبري. الطبعة الرابعة، دار منشورات عويدات، بيروت _ باريس، ١٩٨٥م.

٨. **التطور الذاتي في الألسنية التوليدية والتحويلية**، ميشال زكريا. مجلة الفكر العربي المعاصر، بيروت، العدد ٢٥، ١٩٨٣.

٩. **التطوّر المعرفي عند جان بياجه**، الأستاذ موريس شربل. الطبعة الأولى، المؤسَّسة الجامعيَّة للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٠٦هـ_ ١٩٨٦م.

١٠. **دلائل الإعجاز**، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني. تحقيق: د. محمد التنجي. الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي _ بيروت، ١٩٩٥م.

١١. **العقل**، نعوم تشومسكي. ترجمة: إبراهيم مشروح ومصطفى خلال. دار تيمنل، الطبعة الأولى، مراكش، د. ت.

١٢. **علم تكوين المعرفة "ابستمولوجيا بياجيه**، د. مريم سليم. الطبعة الأولى، معهد الإنماء العربي، بيروت_ لبنان، ١٩٨٥م.

THIS WORK IS LICENSED UNDER A CREATIVE COMMONS ATTRIBUTION 4.0 INTERNATIONAL LICENSE

١٣. **علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات**، أ.د. سعيد حسن بحيري. مؤسسة المختار، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٣١هـ _ ٢٠١٠م.
١٤. **في النحو العربي والنحو التحويلي**، د. فضل يوسف زيد. الطبعة الأولى، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠١٨م.
١٥. **في نحو اللغة وتراكيبها منهج وتطبيق**، د. خليل احمد عمايرة. الطبعة الأولى، دار المعرفة، السعودية، ١٩٨٤ م.
١٦. **اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي، مفاهيم وأمثلة**، د. مصطفى غلفان. الطبعة الأولى، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ٢٠١٠م.
١٧. **اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته**، حافظ إسماعيل علوي. الطبعة الأولى، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ٢٠١٨م.
١٨. **اللسانيات المجال، والوظيفة، والمنهج**، د. سمير شريف استيتية. عالم الكتب الحديث، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ_ ٢٠٠٥م، الطبعة الثانية، ١٤٢٩هـ _ ٢٠٠٨م.
١٩. **اللغة والمسؤولية**، نعوم تشومسكي. ترجمة وتمهيد وتعليق، الدكتور حسام البهنساوي. الطبعة الثانية، مكتبة زهراء الشرق، جمهورية مصر العربية، ٢٠٠٥م.
٢٠. **اللغة ومشكلات المعرفة**، نعوم تشومسكي. ترجمة: حمزة بن قبلان المزيني. دار توبقال، الطبعة الأولى، المغرب العربي، ١٩٩٠.
٢١. **ما هي الابستمولوجيا؟** د. محمد وقيدي. الطبعة الأولى، دار الحداثة، بيروت، ١٩٨٣م.
٢٢. **مباحث تأسيسيَّة في اللسانيَّات**، د. عبد السلام المسدّي. الطبعة الأولى، دار الكتاب الجديد المتَّحدة، بيروت_ لبنان، ٢٠١٠م.
٢٣. **مبادئ اللسانيات**، د. أحمد محمد قدور. الطبعة الأولى، الدار العربية، بيروت، لبنان، ٢٠١١م.
٢٤. **المدارس اللسانية المعاصرة**، د. نعمان بوقرة، د. ط، دار الآداب القاهرة د. ت.
٢٥. **مدخل إلى دراسة الجملة العربية**، د. محمد أحمد نحلة. د. ط، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٨ م.
٢٦. **مدخل إلى فلسفة العلوم العقلانيَّة المعاصرة وتطوّر الفكر العلمي**، الدكتور محمد عابد الجابري. الطبعة الخامسة، الدار البيضاء، بيروت، ٢٠٠٢م.
٢٧. **مدخل إلى اللسانيات**، د. محمد محمد يونس علي. الطبعة الأولى، دار الكتب الجديدة المتحدة، دار الكتب الوطنية، ليبيا، ٢٠٠٤م.

THIS WORK IS LICENSED UNDER A CREATIVE COMMONS ATTRIBUTION 4.0 INTERNATIONAL LICENSE

٢٨. **المعجم الفلسـفي**، مراد وهبه. الطبعة الخامسـة، دار قباء الحديثة للطباعة والنشـر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٧م.
٢٩. **معجم اللسانيات الحديثة**، سامي عياد حنا. د. ط، مطبعة المساحة، القاهرة، ٢٠٠٨م.
٣٠. **معجم المصطلحات الألسنية**، مبارك مبارك. الطبعة الأولى، دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٩٩٥م.
٣١. **معجم المصطلحات النحوية والصرفية**، محمد سمير نجيب اللبدي. الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م.
٣٢. **النحو العربي والدرس الحديث "بحث في المنهج"**، د. عبده الراجحي. د. ط، بيروت، ١٩٧٩م.
٣٣. **نظرية البنائية في النقد الأدبي**: د. صلاح فضل. الطبعة الأولى، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٨م.
٣٤. **نظريَّة بياجيه البنائيَّة في النمو المعرفي**، أ. علي راجح بركات، د. ط، د. ت.
٣٥. **نظرية تشومكسي اللغوية**، جون ليونز. ترجمة وتعليق: د. حلمي خليل. الطبعة الأولى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٥م.
٣٦. **نظريَّة الصلة أو المناسبة في التواصل والإدراك**، دان سبيربر. ديدري ولسون. ترجمة، هشام إبراهيم عبد الله الخليفة. مراجعة، فراس عود معروف. الطبعة الأولى، دار الكتاب الجديد المتَّحدة، بيروت_لبنان، ٢٠١٦م.

البحوث والمجلات

١. **البنيوية النشأة والمفهوم عرض ونقد**، محمد بن عبد الله بن صالح، مجلة الأندلس للعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد ١٥، المجلد ١٦، ٢٠١٧م.
٢. **اللسـانيَّات التشـومسـكيَّة: عرض ونقد**، د. حسـين جبريل عبد النعيم، الاسـتغراب، العدد السـابع والثلاثون، السنة العاشرة، ٢٠٢٥م.
٣. **رأي المدرسة التوليدية التحويلية في تحليل الأصوات اللغوية**، د. إبراهيم كونغ الجو، بحث منشور على شبكة الأنترنت.
٤. **مفهوم الإبسـتمولوجيا ومدياتها دراسـة لسـانيَّة في ضـوء علم المصـطلح**، مجلَّة آداب ذي قار، المجلَّد الأول، العدد الأربعين، ٢٠٢٢م.
٥. **نظرية تشـومسـكي التحويلية التوليدية الأسس والمفاهيم**، د. مختار درقاوي. الأكاديمية للدراسـات الاجتماعية والإنسانية، العدد ١٣، ٢٠١٥م.

THIS WORK IS LICENSED UNDER A CREATIVE COMMONS ATTRIBUTION 4.0 INTERNATIONAL LICENSE